



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المعهد العالي للقضاء
قسم الفقه المقارن

دراسة المسائل الخلافية في كتاب

مراتب الإجماع لابن هزم

من بداية كتاب الفرائض إلى قول المؤلف (هل يوثق من ذكرنا مع التجدد أم لا ...)

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الفقه المقارن

إعداد الطالب:

عبد العزيز بن نومان الشمري

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور:

عبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ

الأستاذ المشارك في المعهد العالي للقضاء

١٤٣١/١٤٣٢ هـ



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المعهد العالي للقضاء

قسم الفقه المقارن

دراسة المسائل الخلافية في كتاب

مراتب الإجماع لابن حزم

من بداية كتاب الفرائض إلى قول المؤلف (هل يرث من ذكرنا مع الجد أم لا ...)

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الفقه المقارن

إعداد الطالب:



عبد العزيز بن نومان الشمري

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور:

عبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ

الأستاذ المشارك في المعهد العالي للقضاء

١٤٣١/١٤٣٢ هـ



١٤٣٢/١/١٤ هـ

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المعهد العالي للقضاء

قسم الفقه المقارن

دراسة المسائل الخلافية في كتاب

مراتب الإجماع لابن حزم

من بداية كتاب الفرائض إلى قول المؤلف (هل يرث من ذكرنا مع الجد أم لا ...)

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الفقه المقارن

إعداد الطالب:

عبد العزيز بن نومان الشمري

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور:

عبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ

الأستاذ المشارك في المعهد العالي للقضاء

١٤٣١/١٤٣٢ هـ

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المعهد العالي للقضاء

قسم الفقه المقارن

دراسة المسائل الخلافية في كتب

مراتب الإجماع لابن حجر

من بداية كتاب الفرائض إلى قول المؤلف *وهل يورث من لا يورث*

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الفقه

إعداد الطالب:

عبد العزيز بن توفيق السويدي

إشراف فضيلة الشيخ:

عبد الله بن عبد العزيز السويدي

الأستاذ المشارك في الفقه

١٤٣١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

دراسة العلوم الشرعية لها أهمية كبرى، ولا سيما الأدلة التي تبني عليها الأحكام، ومنها الإجماع، ولا يخفى ما يتبوؤه الإجماع من منزلة عظيمة في الدين، فهو مصدر من مصادر شريعتنا الخالدة، وهو الأصل الثالث في استخلاص الأحكام الشرعية، فإن الأحكام تؤخذ أولاً من القرآن والسنة النبوية، ثم الإجماع.

كما لا يخفى أن علم الفرائض من أشرف العلوم الشرعية وأهمها ، والحاجة ماسة إلى تعلمه وتعليمه ؛ لأنه وسيلة إلى إيصال الحقوق المالية الموروثة إلى أصحابها ، وقطع التراع بينهم ؛ ولذا حرص علماء المسلمين في كل عصر ومصر على تعلمه وتعليمه ، والتأليف فيه .

أسباب اختيار الموضوع :

١ - أهمية كتاب (مراتب الإجماع) ، وكونه مرجعاً رئيساً من مراجع مسائل الإجماع عند الفقهاء.

٢ - أن في معرفة مسائل الإجماع وتنقيحها من مسائل الخلاف يساعد على تنمية الملكة الفقهية.

٣ - أن البحث والدراسة لمسائل علم الإجماع يطلع الباحث على حقائق الفقه وأسراره، وبها يتبين أوجه الكمال في الفقه الإسلامي.

المقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

دراسة العلوم الشرعية لها أهمية كبرى، ولا سيما الأدلة التي تبنى عليها الأحكام، ومنها الإجماع، ولا يخفى ما يتبوؤه الإجماع من منزلة عظيمة في الدين، فهو مصدر من مصادر شريعتنا الخالدة، وهو الأصل الثالث في استخلاص الأحكام الشرعية، فإن الأحكام تؤخذ أولاً من القرآن والسنة النبوية، ثم الإجماع.

كما لا يخفى أن علم الفرائض من أشرف العلوم الشرعية وأهمها ، والحاجة ماسة إلى تعلمه وتعليمه ؛ لأنه وسيلة إلى إيصال الحقوق المالية الموروثة إلى أصحابها ، وقطع التراع بينهم ؛ ولذا حرص علماء المسلمين في كل عصر ومصر على تعلمه وتعليمه ، والتأليف فيه .

أسباب اختيار الموضوع :

١ - أهمية كتاب (مراتب الإجماع) ، وكونه مرجعاً رئيساً من مراجع مسائل الإجماع عند الفقهاء.

٢ - أن في معرفة مسائل الإجماع وتنقيحها من مسائل الخلاف يساعد على تنمية الملكة الفقهية.

٣ - أن البحث والدراسة لمسائل علم الإجماع يطلع الباحث على حقائق الفقه وأسراره، وبها يتبين أوجه الكمال في الفقه الإسلامي.

٤ - أهمية دراسة المسائل المتعلقة بكتاب الفرائض؛ لكونها تمثل جانباً مهماً من جوانب حياة المسلمين .

٥ - خدمة كتب العلم ومنها كتاب مراتب الإجماع لابن حزم رحمه الله تعالى.

الدراسات السابقة :

تحققت قدر المستطاع من أن هذا الموضوع لم يبحث سابقاً ، وذلك من خلال البحث في المكتبات ، ومكتبات الجامعات، والمكتبات الإلكترونية ، والمواقع التي تهتم بالعلم الشرعي ، ومن أعرف من طلبة العلم الذين يعتنون بهذه الأمور ، فتبين لي أنه لم يبحث من قبل إلا ما كتبه شيخ الإسلام " رحمه الله " في كتيب أسماه "نقد مراتب الإجماع " ، علماً بأن خططي هذه تأتي استكمالاً لبحوث سابقة في نفس الكتاب لكن في أبواب مختلفة، فهو حلقة في سلسلة بحوث تستوعب الكتاب كله .

منهج البحث:

أتبع في هذا البحث المنهج الآتي:

١ - تصوير المسألة المراد بحثها تصويراً دقيقاً قبل بيان حكمها ليتضح المقصود من دراستها إن احتاجت المسألة إلى تصوير.

٢ - إذا كانت المسألة من مواضع الاتفاق فيذكر حكمها بدليله مع توثيق الاتفاق من مظانه المعتمدة.

٣ - إذا كانت المسألة من مسائل الخلاف، فيتبع ما يلي:

أ- تحرير محل الخلاف إذا كانت بعض صور المسألة محل خلاف وبعضها محل اتفاق.

ب- ذكر الأقوال في المسألة وبيان من قال بها من أهل العلم، ويكون عرض الخلاف حسب الاتجاهات الفقهية.

ت- الاختصار على المذاهب المعتبرة، مع العناية بذكر ما تيسر الوقوف عليه من أقوال السلف الصالح، وإذا لم يوقف على المسألة في مذهب ما فيسلك بما مسلك التخريج.

ث- توثيق الأقوال من مصادرها الأصلية.

ج- استقصاء أدلة الأقوال مع بيان وجه الدلالة، وذكر ما يرد عليها مناقشات وما يجاب به عنها إن كانت وأن يذكر ذلك بعد الدليل مباشرة.

ح- الترجيح مع بيان سببه وذكر ثمرة الخلاف إن وجدت.

٤- الاعتماد على أمهات المصادر والمراجع الأصلية في التحرير والتوثيق والتخريج والجمع.

٥- التركيز على موضوع البحث وتجنب الاستطراد.

٦- العناية بضرب الأمثلة خاصة الواقعية.

٧- تجنب ذكر الأقوال الشاذة.

٨- العناية بدراسة ما جد من القضايا مما له صلة واضحة بالبحث.

٩- ترقيم الآيات وبيان سورها مضبوطة بالشكل.

- ١٠- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية وإثبات الكتاب والباب والجزء والصفحة، وبيان ما ذكره أهل الشأن في درجتها -إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما- فإن كانت كذلك فيكتفى حينئذ بتخريجها منهما أو من أحدهما.
- ١١- تخريج الآثار من مصادرها الأصلية، والحكم عليها حسب القدرة.
- ١٢- التعريف بالمصطلحات من كتب الفن الذي يتبعه المصطلح، أو من كتب المصطلحات المعتمدة.
- ١٣- توثيق المعاني من معاجم اللغة المعتمدة، وتكون الإحالة عليها بالمادة والجزء والصفحة.
- ١٤- العناية بقواعد اللغة العربية والإملاء، وعلامات الترقيم، ومنها علامات التنصيص للآيات الكريمة، وللأحاديث الشريفة، وللآثار، ولأقوال العلماء، وتميز العلامات أو الأقواس فيكون لكل منها علامته الخاصة.
- ١٥- تضمين الخاتمة أهم النتائج والتوصيات التي يراها الباحث.
- ١٦- ترجمة للأعلام غير المشهورين بإيجاز بذكر اسم العلم ونسبه وتاريخ وفاته ومذهبه العقدي، والفقهي والعلم الذي اشتهر به، وأهم مؤلفاته ومصادر ترجمته.
- ١٧- إذا ورد في البحث ذكر مكان، أو قبائل، أو فرق، أو أشعار، أو غير ذلك، توضع لذلك فهرس خاصة، إن كان لها من العدد ما يستدعي ذلك.

١٨- إتباع البحث بالفهارس الفنية المتعارف عليها وهي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المراجع والمصادر.
- فهرس الموضوعات.

خطة البحث :

اشتملت خطة البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول :-

فالمقدمة: اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطة البحث.

والتمهيد: تضمن التعريف بمفردات عنوان البحث .

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: دراسة حياة المؤلف، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

المطلب الثالث: مكانته وثناء العلماء عليه و مؤلفاته.

المطلب الرابع: وفاته.

المبحث الثاني: دراسة عن الكتاب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب وأهميته.

المطلب الثاني: مكانته العلمية والمآخذ عليه.

المطلب الثالث: منهج المؤلف في كتابه.

المبحث الثالث : التعريف بالاختلاف. وفيه مطلبان :

المطلب الأول :التعريف بالاختلاف في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : أسباب الخلاف بين الفقهاء .

المبحث الرابع : التعريف بالفرائض ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول :التعريف بالفرائض في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أهمية علم الفرائض.

الفصل الأول :أسباب الميراث ، وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : الميراث بالولاء .

المبحث الثاني : الاختلاف في ميراث القاتل خطأً.

المبحث الثالث : الاختلاف في ميراث المعتق دون ذوي الأرحام .

المبحث الرابع : ميراث من ماتا جميعاً وجهل موت الأول منهما .

المبحث الخامس : ميراث من تزوجها في مرض الموت ثم مات .

المبحث السادس : ميراث من طلقها وهو مريض ثم مات أو صح ثم مات .

الفصل الثاني : ميراث أصحاب الفروض ، وفيه أربعة عشر مبحثاً :

المبحث الأول : الاختلاف في ميراث الأخ لأم مع الجد والأب .

المبحث الثاني : الاختلاف في ميراث ابن العم غير الأخ لأم مع ابن العم مع ابن العم الذي هو أخ لأم.

المبحث الثالث : الاختلاف في ميراث الزوج زوجته إذا كان له ولد ولد ذكر .

المبحث الرابع : الاختلاف في ميراث الجدة مع الأب.

المبحث الخامس : الاختلاف في ميراث الجدتين إن كانت أحدهما أقرب للميت.

المبحث السادس : الاختلاف في ميراث الأم مع أخوين أو أختين أو أخ وأخت : ألها الثلث أم السدس؟

المبحث السابع : الاختلاف في ميراث الأم إذا كانت المسألة إحدى العمريتين : ألها ثلث الباقي أم ثلث جميع المال؟

المبحث الثامن : الاختلاف في ميراث الابنتين.

المبحث التاسع : الاختلاف في ميراث الأخ لأم والأخت لأم مع الأب والجد.

المبحث العاشر : الاختلاف في ميراث الأخوات لأب مع الأخوات الشقائق عند وجود المعصب.

المبحث الحادي عشر : الاختلاف في ميراث الإخوة لأم مع الأخوات لأم في المساواة في الثلث.

المبحث الثاني عشر : الاختلاف في ميراث الأخوات لأب إذ كان هناك أخوة لأب وأخت

شقيقة.

المبحث الثالث عشر : الاختلاف في ميراث بنات الابن إن وجدت الابنة ووجد ذكر مع بنات الابن.

المبحث الرابع عشر : الاختلاف في ميراث ابن الابن مع بنات الابن مع وجود البنات.

الفصل الثاني : ميراث أصحاب الفروض ، وفيه أربعة عشر مبحثاً :

المبحث الأول : الاختلاف في ميراث الأخ لأم مع الجد والأب .

المبحث الثاني : الاختلاف في ميراث ابن العم غير الأخ لأم مع ابن العم مع ابن العم الذي هو أخ لأم.

المبحث الثالث : الاختلاف في ميراث الزوج زوجته إذا كان له ولد ولد ذكر .

المبحث الرابع : الاختلاف في ميراث الجدة مع الأب.

المبحث الخامس : الاختلاف في ميراث الجدتين إن كانت أحدهما أقرب للميت.

المبحث السادس : الاختلاف في ميراث الأم مع أخوين أو أختين أو أخ وأخت : ألها الثلث أم السدس؟

المبحث السابع : الاختلاف في ميراث الأم إذا كانت المسألة إحدى العمريتين : ألها ثلث الباقي أم ثلث جميع المال؟

المبحث الثامن : الاختلاف في ميراث الابنتين.

المبحث التاسع : الاختلاف في ميراث الأخ لأم والأخت لأم مع الأب والجد.

المبحث العاشر : الاختلاف في ميراث الأخوات لأب مع الأخوات الشقائق عند وجود المعصب.

المبحث الحادي عشر : الاختلاف في ميراث الإخوة لأم مع الأخوات لأم في المساواة في الثلث.

المبحث الثاني عشر : الاختلاف في ميراث الأخوات لأب إذ كان هناك أخوة لأب وأخت

شقيقة.

المبحث الثالث عشر : الاختلاف في ميراث بنات الابن إن وجدت الابنة ووجد ذكر مع بنات الابن.

المبحث الرابع عشر : الاختلاف في ميراث ابن الابن مع بنات الابن مع وجود البنات.

الفصل الثالث : ميراث العصبه ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: الاختلاف في ميراث ذوي السهام أيرد عليهم أسهمهم.

المبحث الثاني : الاختلاف في ميراث الأخ مع الجد.

المبحث الثالث: الاختلاف في ميراث الأخوات لأب مع الأخوة لأب عند وجود الشقائق.

ثم خاتمة : أذكر فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ، والمقترحات والتوصيات .

ثم الفهارس : للوصول إلى مفردات البحث بسهولة ، وتشمل ما يلي :

١- فهرس الآيات .

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الأعلام .

٤- فهرس المراجع والمصادر .

٥- فهارس الموضوعات .

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين .

التمهيد

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: دراسة حياة المؤلف

المبحث الثاني: دراسة عن كتاب (مراتب الإجماع).

المبحث الثالث : التعريف بالاختلاف، وأسباب الخلاف بين الفقهاء.

المبحث الرابع : التعريف بالفرائض ، وأهمية علم الفرائض .

المبحث الأول: دراسة حياة المؤلف

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

المطلب الثالث: مكانته وثناء العلماء عليه و مؤلفاته .

المطلب الرابع : وفاته .

المطلب الأول : اسمه ونسبه ولقبه وكنيته

اسمه ونسبه:

هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل ، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي^(١).

لقبه :

لم أجد لابن حزم لقبا في كتب التراجم التي ذكرت سيرته^(٢).

كنيته :

يكنى ابن حزم بأبي محمد^(٣).

(١) اليزيدي: أي مولى الأمير يزيد ابن أبي سفيان بن حرب ، المعروف بيزيد الخير ، نائب عمر بن الخطاب -رضي

الله عنه- على دمشق ، ينظر : سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨) ، البداية والنهاية لابن كثير (٩١/ ١٢) ، وفيات

الأعيان (٣٢٥/٣) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (٤٣٢ /١) الأعلام للزركلي (٢٥٤/٤) .

(٢) ذكر ابن القيم في زاد المعاد (٤٦٥/٥) : "وبإزاء هذا القول ، قول متجنق العرب: أبي محمد ابن حزم" لكن الذي

يظهر أن هذا وصف لابن حزم وليس لقباً.

(٣) ينظر : سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨) .

المطلب الثاني : مولده ونشأته

مولده :

ولد أبو محمد ابن حزم بقرطبة^(١)، بعد صلاة الفجر من آخر يوم من شهر رمضان ، سنة أربعة وثمانين وثلاث مئة للهجرة^(٢).

نشأته :

نشأ ابن حزم في تنعم ورفاهية وسعة من العيش، وفي أسرة ذات شهرة، وعلم وأدب ، ورفعة ومنصب.

فقد عاش ابن حزم حياته الأولى في قصر أبيه في صحبة أخيه أبي بكر ، الذي كان يكبره بخمس سنوات.

وكانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارة وتدبير الدولة ، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، حتى صار فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة بعيداً عن المصانعة.

وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء، فتمالؤوا على بغضه، وأجمعوا على تضليله، وحذروا سلاطينهم من فتنه، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية ليلة (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها.

(١) هي أعظم مدينة بالأندلس وليس لها في المغرب الإسلامي آنذاك شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة، ويقال: إنها كأحد جانبي بغداد وإن لم تكن كذلك فهي قريبة منها ، وهي حصينة بسور من حجارة ، ولها بابان مشرعان في نفس السور إلى طريق الوادي من الرصافة ، ينظر : معجم البلدان (٣٢٤/٤)، مدينة وعاصمة مقاطعة تحمل اسمها بمنطقة الأندلس في جنوب إسبانيا وتقع على ضفة نهر الوادي الكبير، شمال خط الاستواء يبلغ عدد سكانها حوالي ٣١٠,٠٠٠ نسمة، ينظر: دراسات في المدن العربية والإسلامية لعبدالجبار ناجي، ص (١٦٢).

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء (١٨٧/١٨) .

وبالغ حتى قيل: لسان ابن حزم وسيف الحجاج^(١) شقيقان^(٢).

وقد تتلمذ ابن حزم على علماء أفاضل أجلاء منهم:

- ١- حمام بن أحمد القاضي^(٣).
- ٢- عبد الله بن ربيع التميمي^(٤).
- ٣- محمد بن سعيد بن نبات^(٥).
- ٤- يحيى بن مسعود بن وجه الجنة، صاحب قاسم بن أصبغ وهو أعلى شيخ له^(٦).

(١) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، وهو قسي بن منه بن بكر بن هوزان، أبو محمد الثقفي ولد سنة ٤١هـ، سمع ابن عباس، وروى عن أنس، وسمرة بن جندب، وعبد الملك بن مروان، وأبي بردة بن أبي موسى، وروى عنه أنس بن مالك، وثابت البناني، وحמיד الطويل، ومالك بن دينار، وجواد بن مجالد، وقتيبة بن مسلم، وسعيد بن أبي عروبة. قاله ابن عساكر، قال: وكانت له بدمشق دور منها: دار الرواية بقرب قصر ابن أبي الحديد، وولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير، ثم عزله عنها وولاه العراق، توفي سنة ٩٥هـ.

(٢) ينظر: الإحاطة في أخبار قرطبة (٨٧/٢)، سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨)، البداية والنهاية لابن كثير (٩١/١٢)، وفيات الأعيان (٣٢٥/٣)، الأعلام للزركلي (٢٥٤/٤).

(٣) هو حمام بن أحمد القاضي، أبو بكر القرطبي، قال ابن حزم: كان واحد عصره في البلاغة وسعة الرواية ضابطاً، ولي قضاء يابرة، وتوفي في رجب سنة أربع مائة وإحدى وعشرين، وله أربع وستون سنة. ينظر: شذرات الذهب (٢١٩/٣).

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن ربيع التميمي، سكن قرطبة، وسمع أبا بكر محمد بن معاوية القرشي، وأبا علي إسماعيل بن القاسم القالي اللغوي، وغيرهما، مات سنة خمس عشرة وأربع مائة، ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولادة الأندلس ص ٢٣٥.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد النباقي، أندلسي يعرف بالنباقي، حدث عن عبد الله بن نصر الزاهد الأندلسي صاحب بقي بن مخلد، وغيره، مات بعد سنة أربع مائة. ينظر: الإكمال لابن ماكولا (٤٤٤/١).

(٦) هو يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود بن موسى القرطبي، يعرف: بابن وجه الجنة، سمع من: قاسم بن أصبغ، وغيره وكان خيراً ديناً، توفي سنة أربع مائة واثنين. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩٥/٣٣).

٥ - يونس بن عبد الله بن مغيث القاضي^(١)، وغيرهم كثير^(٢).

وقد مال ابن حزم رحمه الله أولاً إلى النظر في فقه أبي عبد الله الشافعي رحمه الله ، وناضل عن مذهبه ، وانحرف عن مذهب غيره ، حتى وسم به ، واستهدف في ذلك إلى كثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ. ثم عدل في الآخر إلى قول أصحاب الظاهر ، مذهب داود بن علي ، ومن تبعه من فقهاء الأمصار ، فنقحه ونحججه ، وجادل عنه ، ووضع الكتب في بسطه ، وثبت عليه إلى أن مضى بسبيله . وكان يحمل علمه ، ويجادل عنه لمن خالفه فيه ، على استرسال في طباعه ، واستناد إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء من عبادته ، ليبينه للناس ، ولا يكتُمونه ، فآل أمره إلى ما عرف^(٣).

(١) هو الفقيه المحدث شيخ الأندلس ، أبو وليد يونس بن عبد الله بن مغيث القاضي ، كان بليغ الموعظة ، وافر العلم ،

مات في رجب سنة تسع وعشرين وأربع مائة . ينظر : سير أعلام النبلاء (٧٤/٣٤) .

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء (١٦٧/٣٥) .

(٣) ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٨٧/٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨) ، البداية والنهاية لابن كثير (٩١/١٢) ،

وفيات الأعيان (٣٢٥/٣) ، الأعلام للزركلي (٢٥٤/٤) .

المطلب الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه ومؤلفاته

أولاً مكانته العلمية وثناء العلماء :

كان العلامة ابن حزم حافظاً للحديث وفقهه، وكان أجمع أهل قرطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعة في علم اللسان، ووفرة حظه من البلاغة والشعر، والمعرفة بالسير والأخبار.

وقد رزق رحمه الله ذكاء مفراطاً، وذهناً سيالاً، وكان ينهض بعلوم جمّة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر مع دين وخير، ومقاصد جميلة، ومصنفات مفيدة.

كان رحمه يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، متفنناً في علوم جمّة، عاملاً بعلمه، كريم النفس والتدين، وكان له في الأدب والشعر نفسٌ واسعٌ، وباعٌ طويلٌ.

ومع هذه الصفات الجليلة العظيمة إلا أن ابن حزم كان حاد اللسان على مخالفه من العلماء، مسفهاً لآرائهم المخالفة لما يراه هو الحق، خاصة خلال مناظراته مع المالكية.

وهذه الحدة أورثت نفوراً في قلوب كثير من العلماء، وكثر أعداؤه بسبب ذلك، ونفي من قرطبة، وأحرقت كتبه في محاضر عامة^(١).

(١) ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٨٧/٢) سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨)، البداية والنهاية لابن كثير (٩١/١٢)، وفيات الأعيان (٣٢٥/٣)، الأعلام للزركلي (٢٥٤/٤).

ألف ابن حزم كتباً جمة مفيدة وفي فنون عدة ولعل أهمها :

١- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، وهو مطبوع متداول.

٢- "جمهرة الأنساب".

٣- طوق الحمامة في الإلف والآلاف، طبع عدة مرات ، وترجمت إلى عدة لغات .

٤- "حجة الوداع" غير كامل وهو مطبوع .

٥- "المجلى" في الفقه مجلد.

٦- "المجلى في شرح المجلى بالحجج والآثار"، وهو مطبوع متداول.

٧- "قسمة الخمس في الرد على إسماعيل القاضي" مجلد.

٨- الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض عنها" يكون عشرة آلاف ورقة ، لكن لم

يتمه.

٩- كتاب "الجامع في صحيح الحديث" بلا أسانيد.

١٠- كتاب "التلخيص والتخليص في المسائل النظرية".

١١- كتاب "ما انفرد به مالك وأبو حنيفة والشافعي".

١٢- كتاب "التصفح في الفقه" مجلد.

١٣- كتاب "التبيين في علم المصطفى أعيان المنافقين" ثلاثة كراريس.

١٤- كتاب "الإملاء في شرح الموطأ" ألف ورقة.

١٥- كتاب الإملاء في قواعد الفقه " ألف ورقة أيضا.

١٦- كتاب در القواعد في الظاهرية " ألف ورقة أيضا.

١٧- كتاب "مراتب الإجماع"، وهو مطبوع .

١٨- كتاب "الفرائض" مجلد.

١٩- كتاب "الرسالة البلقاء في الرد على عبد الحق بن محمد الصقلي" مجليد.

٢٠- كتاب الإحكام في أصول الأحكام"، وهو مطبوع .

٢١- كتاب "الرد على من اعترض على الفصل" مجلد.

٢٢- كتاب "اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين" مجلد.

٢٣- كتاب "الرد من كفر المتأولين من المسلمين" مجلد.

٢٤- كتاب "مختصر في علل الحديث" مجلد.

٢٥- كتاب "التقريب لحد المنطق بالألفاظ العامية" مجلد.

٢٦- كتاب "الاستجلاب" مجلد.

٢٧- كتاب "نسب البربر" مجلد.

٢٨- كتاب "نقط العروس" مجليد.

المطلب الرابع: وفاته

تقدم أن ابن حزم رحمه الله كان كثير الوقوع في العلماء والفقهاء بلسانه وقلمه ، فأورثه ذلك حقداً في قلوب علماء زمانه، وما زالوا به حتى بعّضوه إلى ملوكهم ، فطرده عن بلاده ، حتى كانت وفاته في شعبان سنة ٤٥٧ هـ ، وقد عاش اثنين وسبعين سنة إلا شهراً^(١).

(١) ينظر: البداية والنهاية (١٢/١١٣).

المبحث الثاني: دراسة عن كتاب مراتب الإجماع

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب وأهميته.

المطلب الثاني: مكانته العلمية والمآخذ عليه.

المطلب الثالث: منهج المؤلف في كتابه.

المطلب الأول: اسم الكتاب وأهميته

اسم الكتاب: هو مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات.

أهمية الكتاب: وكل كتاب يستمد قوته من قوة مؤلفه وكتابه، ولا شك بأن الميزة الأولى للكتاب راجعة إلى مؤلفه، فابن حزم فحل من فحول العلم وهو من المتقدمين عصرًا، وكل ما قرب عالم من عهد النبوة رجي له التوفيق.

فمراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات "كتاب ذو مرتبة عالية، وفوائد غالية، وأهمية بالغة، فموضوعه وهو "الإجماع" هو أحد قواعد الدين، وأركان الملة الحنيفة السمحة، وما أجمع عليه المسلمون فهو يقين ثابت، وأمر مقطوع به، لا يجوز مخالفته، كتب فيه الأئمة والعلماء كثيراً في أبحاث شتى وجوانب عديدة، فمنهم من كتب عن الإجماع من الناحية الأصولية، وكتب الأصول لا يخلو واحداً منها عن دراسة لهذا الأصل، وهذا الكتاب الذي نقلب صفحاته "مراتب الإجماع" للحافظ محمد بن حزم له أهمية خاصة، إذ المؤلف حاول أن يستقصي فيه ما أمكن، ولأنه خالف فيه مذهبه الظاهري الذي لا يعتبر بإجماع بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم، بل خالف ما قرره هو نفسه في كتابه "الأحكام": (٥٤٩/٤) حيث قال: "إنما علينا طلب أحكام القرآن والسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ ليس الدين في سواهما أصلاً، ولا معنى لطلبنا هل أجمع على ذلك الحكم أو اختلف فيه". ونراه يقول في كتابه هذا: "فإن الإجماع قاعدة من قواعد الملة الحنيفية، يرجع إليه ويهرع نحوه ويكفر من خالفه إذا قامت عليه الحجة". لقد رتب الإمام ابن حزم كتابه هذا على أبواب الفقه، فذكر ما أجمع عليه أهل العلم في العبادات والمعاملات والاعتقاد، غير متعرض لذكر الدليل^(١).

(١) تحقيق مراتب الإجماع لحسن أحمد أسير، ص (٢٥).

المطلب الثاني: مكانته العلمية والمآخذ عليه

كتاب مراتب الإجماع من أشمل الكتب التي ألّفت في مسائل الإجماع، وأريد بذلك الكتب المتقدمة، فقد حوى هذا الكتاب ألفاً ومئة وثلاثاً وأربعين مسألة إجماع واتفاق، وقد شرّحه بعض العلماء في عشرة أسفار^(١).

وقد استعرض شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه "نقد مراتب الإجماع" ما يزيد على أربعين مسألة من مسائل كتاب مراتب الإجماع، وتعرض لها بالنقد، وبين أن حكاية الإجماع فيها ليست دقيقة، ثم قال: "وقد ذكر رحمه الله تعالى إجماعات من هذا الجنس في هذا الكتاب، ولم يكن قصدنا تتبع ما ذكره من الإجماعات التي عُرف انتقاضها، فإن هذا يزيد على ما ذكرناه مع أن أكثر ما ذكره من الإجماع هو ما حكاها، لا نعلم فيه نزاعاً، وإنما المقصود أنه مع كثرة اطلاعه على أقوال العلماء وتبرزه في ذلك على غيره، واشترطه ما اشترطه في الإجماع الذي يحكيه، يظهر فيما ذكره في الإجماع نزاعات مشهورة، وقد يكون الراجح في بعضها خلاف ما يذكره في الإجماع، وسبب ذلك: دعوى الإحاطة بما لا يمكن الإحاطة به، ودعوى أن الإجماع الإحاطي هو الحجة لا غيره، فهاتان قضيتان لا بد لمن ادعاهما من التناقض إذا احتج بالإجماع. فمن ادعى الإجماع في الأمور الخفية بمعنى أنه يعلم عدم المنازع، فقد قفا بما ليس له به علم، وهؤلاء الذين أنكر عليهم الإمام أحمد

(١) كما فعل ذلك ابن شيخ السلامية، حيث شرح مراتب الإجماع في عشرة أسفار، واستدرك عليه قيوداً أهمها، لكن الكتاب مفقود إلى الآن، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١٧٦/٥).

وأما من احتج بالإجماع بمعنى عدم العلم بالمنازع ، فقد اتبع سبيل الأئمة ، وهذا هو الإجماع الذي كانوا يحتجون به في مثل هذه المسائل^(١).

(١) ينظر: نقد مراتب الإجماع ص (٢-٣) .

وأما من احتج بالإجماع بمعنى عدم العلم بالمنازع ، فقد اتبع سبيل الأئمة ، وهذا هو الإجماع الذي كانوا يحتجون به في مثل هذه المسائل^(١).

(١) ينظر: نقد مراتب الإجماع ص (٢-٣) .

المطلب الثالث: منهج المؤلف في كتابه

١- يذكر ابن حزم رحمه الله الكتاب ، أو الباب ، أو القسم ، ثم يأتي بمسائل ذلك الكتاب تحته ، وهكذا إلى آخر كتابه، فكل مسألة تجدها في القسم الخاص بها.

٢- استخدم رحمه الله عبارتين في حكاية الإجماع ، فيقول: وأجمعوا على أن ..، وأجمعوا أن.. ، ويقول في العبارة الثانية _وهي الأكثر_ واتفقوا على أنه ..، أو اتفقوا أن... .

٣- غالباً ما يبدأ ابن حزم المسألة بـ (أن) ، وتكون المسألة واقعة موقع الاسم لها، ويجيء الحكم خبرها ، فهذا دأبه دائماً ، ولو طال الفاصل بين اسم إن وخبرها ، فيجعل غالباً الحكم في آخر المسألة ، وما بين المسألة والحكم قيود كالشروط ، وحتى نبين ذلك فلنأخذ مثلاً على ذلك :

قال ابن حزم: "اتفقوا أن من لم يتظلل في إحرامه ولا قتل قملة ولا حلمة، ولا مس شيئاً من شعره ولا من أظافره، ولا رفث ولا عصي ولا جادل، ولا التذُّ بشيء من النساء، ولا شم ريحاناً ولا ادهن، ولا أكل شيئاً، ولا مس مخيطاً، ولا حمل على رأسه شيئاً، ولا عطر وجهه، ولا غسل رأسه بغسل ولا بماء، ولا انغمس في ماء، ولا بالغ في الحك، ولا احتزم ولا تقلد سيفاً، ولا قتل سبعاً ولا أسداً ولا خنزيراً ولا شيئاً من دواب البر، ولا بيض طائر ولا ذعر صيداً، ولا أفسد عشه، ولا نظر في مرآة ولا دل على شيء من ذلك، ولا فعل شيئاً من ذلك بمحرم، ولا احتجم فإنه لم يأت شيئاً يكره في إحرامه"^(١).

وفي كثير من المواضع يذكر مسائل الإجماع كالتحرير لحل التزاع ، فيقول : اتفقوا على ... كذا ، ثم يقول : واختلفوا في كذا .

(١) ينظر: مراتب الإجماع (٤٨/١) .

٤ - لم يذكر أسماء المتفقين من العلماء أبداً^(١).

٥ - الأصل أن ابن حزم يجعل كل مسألة إجماعاً أو اتفاقاً على حدة، ويصدرها بالفعل الدال على ذلك، ولكنه أحياناً يعطف مسائل بحرف الواو على الفعل المصدر به الكلام، فيقول: واتفقوا على أن ... وأن.. وأن...، وهكذا.

وأكثر من هذه الطريقة في باب الاعتقادات. ومثاله:

قال ابن حزم: "اتفقوا أن الله وحده لا شريك له، خالق كل شيء غيره، وأنه تعالى لم يزل ولا شيء غيره معه، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء، وأن النفس مخلوقة، والعرش مخلوق، والعالم كله مخلوق، وأن النبوة حق، وأنه كان أنبياء كثير منهم من سمي الله تعالى في القرآن ومنهم من لم يسم لنا، وأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي المبعوث بمكة المهاجر إلى المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جميع الجن والإنس إلى يوم القيامة، وأن دين الإسلام هو الدين الذي لا دين لله في الأرض سواه، وأنه ناسخ لجميع الأديان قبله، وأنه لا ينسخه دين بعده أبداً....." إلخ^(٢).

٦ - لم يستدل ابن حزم رحمه الله على المسائل المجمع عليها، وكذا ما يذكر من المسائل المختلف فيها.

(١) ذكر ابن حزم في مقدمة كتابه "مراتب الإجماع" العلماء الذين يعتد بخلافهم وإجماعهم، فقال: "وإنما نعني بقولنا العلماء: من حفظ عنه الفتيا من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وعلماء الأمصار وأئمة أهل الحديث ومن تبعهم رضي الله عنهم أجمعين، ولسنا نعني أبا الهذيل ولا ابن الأصبم ولا بشر بن المعتز ولا إبراهيم بن سيار ولا جعفر بن حرب ولا جعفر بن مبشر ولا ثمامة ولا أبا غفار ولا الرقاشي ولا الأزارقة والصفريه ولا جهال الأباضية ولا أهل الرفض، فإن هؤلاء لم يتعنوا من تثقيف الآثار ومعرفة صحيحها من سقيمها، ولا البحث عن أحكام القرآن لتمييز حق الفتيا من باطلها بطرف محمود، بل اشتغلوا عن ذلك بالجدال في أصول الاعتقادات ولكل قوم علمهم". ينظر: مراتب الإجماع (١/١٤).

(٢) ينظر: مراتب الإجماع (١/١٦٧).

٧- يذكر الأقوال في المسائل المختلف فيها ، غير مرجح شيئاً منها على شيء ، وهذا هو الأصل ، وقد رجح مرة واحدة فقط ، فقال: والذي نذهب إليه من ذلك ، والذي نعتقده^(١).

(١) ينظر: إجماعات ابن حزم في كتابه مراتب الإجماع (ص ٤٩) .

المبحث الثالث : التعريف بالاختلاف

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بالاختلاف في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : أسباب الخلاف بين الفقهاء .

المبحث الثالث : التعريف بالاختلاف

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بالاختلاف في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : أسباب الخلاف بين الفقهاء .

المطلب الأول : التعريف بالاختلاف في اللغة والاصطلاح

أولاً: تعريف الاختلاف في اللغة :

الاختلاف : افتعال، مصدر اختلف ، واختلف ضد اتفق ، يقال : تخالف القوم واختلفوا ،

إذا ذهب كُلُّ واحدٍ مِنْهُمْ إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر.

ويقال : تخالف الأمران ، واختلفا، إذا لَمْ يتفقا، وكل ما لَمْ يتساو فَقَدْ تخالف واختلف.

ومنه قولهم : اختلف الناس في كَذَا ، والناس خلفة: أي مختلفون ؛ لأن كُلَّ واحدٍ مِنْهُمْ

ينحى قَوْل صاحبه ، ويقيم نفسه مقام الَّذِي نَحَاه^(١).

ثانياً : تعريف الاختلاف في الاصطلاح :

التعريف المشهور للاختلاف الذي ذكره معظم العلماء هو: "أن يذهب كل عالم إلى

خلاف ما ذهب إليه الآخر في حالة"^(٢)، وقال آخرون: "أن ينهج كل شخص طريقاً مغايراً

للآخر في حاله أو في قوله"^(٣).

والناظر في هذين التعريفين يرى أنهما شاملان لنوعي الاختلاف المحمود والمذموم، ويشمل

كذلك الجدل والشقاق، وذلك لأن الجدل هو ذهاب كل عالم خلاف ما ذهب إليه الآخر،

ولكن بزيادة شدة؛ ولهذا نهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال: " أنا زعيم ببيت في ربض

الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً"^(٤).

وبهذا يكون التعريف جامعاً لكل أنواع الاختلاف المحمود والمذموم، ولكن إذا أردنا

الاختلاف الصحيح الذي نريده، فلا بد وأن يكون فيه قيد ليمنع دخول الجدل الممنوع ونحوه

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٢١٣/٢) ، القاموس المحيط (١٤٣/٣) ، لسان العرب (٩١/٩) ، المصباح المنير : (١٧٩) .

(٢) ينظر: المصباح المنير ص ١٧٩ ، فقه الخلاف ص ١٣ .

(٣) ينظر: آداب الاختلاف للقرضاوي ص ٢١ .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الأخلاق، باب حسن الخلق برقم (٤٨٠٢)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (٧٤٨٨)،

وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٤٦٤) .

وعلى هذا يكون تعريف الاختلاف المحمود هو: أن يذهب كل عالم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر بغية الوصول إلى الحق .

وعلى هذا يكون تعريف الاختلاف المحمود هو: أن يذهب كل عالم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر بغية الوصول إلى الحق .

المطلب الثاني : أسباب الخلاف بين العلماء

عدد بعض أهل العلم أهم أسباب الاختلاف بين الفقهاء عموماً في كل العصور

وحصرها في سبع نقاط هي^(١):

الأولى: اختلاف معاني الألفاظ في اللغة العربية:

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ولغة الحديث النبوي الشريف، فالنصوص الشرعية

محملة لأكثر من معنى واحد، ولا شك أن علماء اللغة أنفسهم يختلفون في وضع الألفاظ

ودلالاتها، إما بسبب كون اللفظ مجملاً أو مشتركاً أو متردداً بين العموم والخصوص، أو بين

الحقيقة والمجاز، إلى غير ذلك من خلاف، وهذا ما انتقل بدوره إلى علماء الفقه، وأدى

بالتالي إلى اختلاف الأحكام، ومثال على ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ

يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٢)، فمن العرب من يسمي الحيض قرءاً، ومنهم من

يسمي الطهر قرءاً ومنهم من يجمعهما جميعاً، فيسمي الطهر مع الحيض قرءاً.

الثانية: اختلاف المدارك والأفهام والعقول:

إذ إن العلماء يتفاوتون في ملكاتهم وعقولهم، وهذا أمر طبعي ينتج عنه في بعض الأحيان

اختلاف الأحكام المستنبطة من الأدلة الشرعية، وهذا موجود في عصر الصحابة رضي الله

عنهم — ومن بعدهم، مثال ذلك : صلاة العصر في بني قريظة^(٣).

(١) ينظر : رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٤) ، دراسات في الاختلافات الفقهية

لمحمد أبو الفتح البيانوني (ص ١١٢) ، أسباب اختلاف الفقهاء للدكتور عبد الله التركي (ص ١٣ — ٢٢) .

(٢) سورة البقرة ، آية (٢٢٨) .

(٣) هذا الحديث : رواه الإمام البخاري في كتاب الصلاة باب صلاة الخوف (٩٤٦) وفي المغازي (٤١١٩) ، ومسلم

في كتاب الجهاد باب المغازي (١٧٧٠) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا لَمَّا رَجَعْنَا مِنَ الْأَحْزَابِ: " لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَذْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا -

الثالثة: الاختلاف في فهم المراد من النص الظني أي غير القطعي:

إذ إن المعنى ربما كان خافياً أو محتملاً للتأويل، والله تعالى لم يجعل جميع أدلة الأحكام الشرعية قطعية، بل جعل أكثرها ظنية الدلالة؛ للتوسعة على المكلفين، وإفساح المجال للعقول لتجتهد وتستنبط من تلك الأدلة؛ وفي هذا احترام وتقدير للعقول ومراعاة تفاوتها.

الرابعة: الاختلاف في حجية بعض مصادر التشريع:

وذلك عند عدم وجود النص القاطع من كتاب الله أو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهناك أدلة اختلفوا في مدى الاعتماد عليها: كالاستحسان، والمصالح المرسلة، وقول الصحابي، وعمل أهل المدينة، إلى غير ذلك مما هو مبسوط في كتب أصول الفقه.

الخامسة: الاختلاف في ثبوت النص وعدمه:

وذلك تبعاً للاختلاف في توثيق الرواة وتضعيفهم، أو الاختلاف حول تضعيف حديث أو تقويته، أو وضع شروط لقبول مراسيل التابعين أو خير الآحاد ونحو ذلك. وقد يكون هذا الاختلاف ناتجاً عن بحثٍ ودراسة، كما هو شأن العلماء، فمن قوى حديثاً عمل به، ومن ضعف هذا الحديث لم يعمل به.

وكمثال على ذلك: الاختلاف في حكم تغطية المرأة لوجهها وكفيها، بناءً على اختلافهم في صحة حديث عائشة رضي الله عنها،: "أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق (أي شفاقة تُظهر ملامح الجسم)، فأعرض عنها

-نُصِّلِي حَتَّى نَأْتِيَهَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصِّلِي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعْتَفَ وَاجِدًا مِنْهُمْ".

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا) وأشار إلى وجهه وكفيه^(١). فمن صحيح هذا الحديث _ مع غيره من الأدلة _ قال: يجوز كشف المرأة لوجهها ويديها، وهم جمع كبير من العلماء. ومن قال بضعفه _ مع وجود أدلة أخرى _ قال: بوجوب تغطية المرأة لوجهها ويديها، وقد قال به كثير من العلماء قديمًا وحديثًا.

السادسة: الاختلاف في طرق الجمع والترجيح بين النصوص أو الأدلة المتعارضة:

وعلى فرض الاتفاق بين العلماء على ثبوت النص وفهمه، يأتي اعتراض آخر وهو: سلامة النص من معارض راجح في الظاهر من النصوص الأخرى، وهنا يقع الاختلاف بين طرق الجمع بين النصوص، أو ترجيح بعضها على بعض. وإنه إذا تعارض دليلان فهناك عدة طرق للجمع بينهما: كالعام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ ... وغيرها، فإذا تعارض دليلان وكان العالمان غير متفقين على كيفية الجمع بينهما فسيختلف الحكم الشرعي، كالاختلاف في حكم استقبال القبلة ببول أو غائط، إذ ورد فيها أدلة متعارضة:

ففي حديث أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أتيتم

(١) رواه أبو داود، كتاب اللباس، باب في ماتبيدي المرأة من زينتها (٣٩/٤)، قال أبو حاتم الرازي: مرسل، خالد بن دريك لم يسمع من عائشة، تفسير القرآن (٤٨/٦)، قال الذهبي: يعتضد بأقوال الصحابة، المذهب (٦٦٥/٢)، قال الألباني: ضعيف، إرواء الغليل رقم (١٧٩٥).

الغائط فلا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول، ولكن شرقوا أو غربوا) فقدمنا الشام فوجدنا
مراحيض قد بنيت قبل القبلة؛ فكنا ننحرف عنها ونستغفر الله^(١).

وهذا يتعارض مع حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "ارتقيت فوق بيت
حفصة لبعض حاجتي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستدبر القبلة
مستقبل الشام"^(٢).

فاختلف الفقهاء في المسألة على أقوال:

القول الأول: الجمع بين الحديثين، فحديث أبي أيوب يُحمل على أن النهي إن كان في
الصحاري وليس هناك بنيان بينه وبين القبلة و أمّا حديث عبد الله بن عمر فهو جواز
استقبال القبلة أو استدبارها إذا كان في بنيان، ولعله هو الأقرب للصحة والله أعلم.
والثاني: ترجيح العمل بحديث أبي أيوب بناءً على أن المنع والتحريم مُقدّم على الإباحة عند
التعارض.

والثالث: ترجيح العمل بحديث عبد الله بن عمر بناءً على أنه عند التعارض ووجود الشك
يبقى الحكم على الأصل وهو عدم التحريم.

السابعة: الاختلاف في القواعد والمبادئ الأصولية:

وهذا وارد حيث إن تلك القواعد من وضع العلماء، ولهم فيها اجتهادات علمية وأسباب
موضوعية، ينتج عنها تعدد آرائهم فيها، مما يستدعي اختلاف النتائج المبنية عليها.

(١) رواه البخاري في أبواب القبلة، باب قبله أهل المدينة برقم (٣٩٤)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب الاستطابة برقم
(٢٦٤).

(٢) رواه البخاري في أبواب الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي وما نسب برقم (١٤٨)، ومسلم في الطهارة،
باب الاستطابة برقم (٢٦٦).

المبحث الرابع : التعريف بالفرائض وأهميتها .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بالفرائض في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني : أهمية علم الفرائض.